التعليم والتربية

الاسراف وسوء السلوك

مقتبسة من كتاب نصائح العملة

ان ما اعتاده بعض العملة من اهمال الاعمال ذهاباً مع هوى النفس قد يكون أبداً من ورائه ما يدعى بسوء السلوك . ومن عرف بهذا الميل فقد اطرح حلل الشرف في الانسان ولبس رداء من الشرور قد يتعذر اطراحه في الغالب . لا يستحق اسم الانسان الا من جعل شهواته واهواءه ورغائبه محكومة بنظام العقل على الدوام موضوعة على محك البصيرة والتدبر . ولا يسعد الا من جعل هذا الخضوع عادة فيه لا يتكلفها ولا يجهد نفسه من أجلها . فعلى الشهوة ان تكون أبداً مطيعة وعلى العقل ان يأمر ولكن اذا أمرت الشهوة واذعن العقل فقد المرء العقل والسعادة . وعدم اعتدال العامل في شؤونه دليل سوء تصرفه وتجانفه عن جادة الاستقامة وطرق الكرامة .

سهل على العامل من الاسف ان يتخلق بهذا الخلق في شبيبته وقبل زواجه أيام يكون في إبان قوته ونضارة صحته يتناول اجرة تفيض عن حاجته فيفيض منها على هواه ما يكفي رجلا متزوجاً في إعالة عياله . فان أجرة أمثال هؤلاء العملة الشبيبة الفتيان لا يكادون يقبضونها حتى يصرفوها في كل سبيل وينفقوها في لا يرضي . ومهما كثرت فان لها مصارف تستغرقها برمتها ولا تبقي منها ولا تذر . والسرف متلفة كل شيء يتأصل على العادة

في النفس مما يخشى منه بعد ان يتعذر اقلاع العامل عن هذا الخلق فيعيش بعد زواجه كما كان يعيش عزباً

لا أجمع بين الانحراف المؤقت وسوء السلوك على ان الثاني يتولد من الاول بسهولة . وما من امرىء لايدرك الى أين يؤدي الانحراف عن جادة الفضيلة لاول أمره . ومن الهين اللين ان يسقط الانسان من الطيش الى الاضطراب ومن هذا الى سوء السلوك . وارحمتاه لمن لايحسن مقاومة شهواته الاولى فان الهواء الذي يستنشق في المجتمعات وقد ركب الطيش اجزاءه ليحل في تضاعيفه اضطراباً وبحراناً في الحواس وينتهي بضرب من السكر الادبي ويصعب تبديد شمله بقدر ماترتاح النفس اليه . ومع هذا فقد يرى الطائشون عبثاً اصلاح نفوسهم من هذا السكر وانه موقت لايلبث المنغمسون فيه ان يرجعوا عن غيهم . ولكن تجيء الايام تلو الايام والاسابيع تلو الاسابيع والشهور عقيب الشهور والنفس لاترجع عن غيها وغلوائها .

ولقد انشئت في انكلترا وأميركا جمعيات دعيت جمعيات الاعتدال بغية انقاذ العامل بل اضطراره الى عدم اهمال العمل وسوء استعمال أوقات فراغه فاسفرت هذه الجمعيات عن بعض النجاح فيقضي على من يريد الانخراط في سلك هذه الجمعيات ان يقسم ايماناً مؤداه ان يتخلى عن استعمال أي شراب من المسكرات كان . ولكن حظر استعمال شيء حسن في ذاته ليكون المرء على ثقة من سوء استعماله معناه قلة الثقة بنفسه ومن المتعذر ان يكون لامرىء لايعتبر نفسه ويثق بها من القوة ان يتغلب حيناً من الدهر على سلوكه فيجعله تبعاً لارادته وارادته تبعاً لكلامه . ولذلك ترى هذه

الجمعيات عرضة للسقوط كثيراً لانه لو لم يكن للمرء من نفسه وازع يقيه المضال والانغماس في حمأة السفاهة ليس لجمعية ان تناله منه بمجرد حلف يمين والقيام بمظاهر عظيمة

لا تنتهي الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

ومن استنار عقله بنور العقل الصحيح هيهات ان يحيد عن الجادة المثلى ويتعدى حدود الادب واللياقة . ومن الشبان من يأتون المنكر فيقولون هذه المرة الاخيرة ونحن لا نأتي منكراً بعد . فهلا قالوا مثل هذا القول من قبل وصرحوا بانهم لا يأتون المنكر ولا هذه المرة أيضاً فما هو الا ان تستلب هذه المنكرات من أرباب العقول عقولهم حتى اذا أراد أحد المتلبسين بها ان يرجع عنها بعد ان تكون نفسه مجبولة يتعذر عليه ذلك . تعرف هذا من عملة انقطعوا عن أعمالهم أياماً وراحوا يقضون أوقاتهم في القصف والسكر فتراهم باديء بدءٍ قد وجدوا شيئاً من النشاط ان صح ان يسمى نشاطاً حتى اذا كان اليوم الثاني تصفر الوانهم وتنقطع أيديهم عن كل عمل فيصبحون باهتين شاخصين ثم لا يلبثون ان يعربدوا ويصخبوا وربما طالت أيديهم بالتعدي على أبناء السبيل تدفعهم الى ذلك عوامل الخمار

الا وان سوء السلوك لتستوحش منه النفوس ويفسد القلوب بما يصحبه من الافراط الذي ينهك الصحة فيعجل الهرم ويهيء السبل للامراض العضالة . إفراط تتلبس به النفس فيقودها من ضلال الى آخر حتى يتناسى صاحبها ما يقضي به الشرف ويحيد حياداً ظاهراً عن مهيع الشرائع . وعقاب سوء السلوك بسيط فهو يميت القلب ويقتل في صاحبه التوبة والانابة وما هو الا ان يضعف النفس عن الاحساس الطيب والافكار الصالحة ويميت

في نفسه كل شعور حي . يعمل ولكن من دون لذة . بل مكرهاً وما هو الا كلا ولا حتى تصير الحالة في عينه عبئاً ثقيلاً والعمل عذاباً أليماً فيبلغ حالة لا يبلغها من المرء اعدى أعدائه وهل أشد خطراً من عدو داخلي ينهك القوى ويهدم الاسس . وقد قيل اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والانكى من ذلك ان من يألفون الدعارة ويأخذون أنفسهم بالفسق لا يلبثون ان يعاشروا من هم على شاكلتهم على نحو ماجاء في الامثال ان الطيور على اشكالها تقع وشبيه الشيء منجذب اليه . وهناك حدث ماشئت ان تحدث عمن يلقاهم من سخاف العقول وضعاف الآداب ينشط كل منهم صاحبه ويهيء له سبيل الرذيلة ويحببها اليه وتراهم أبداً وأحاديثهم تدور على تلاعبهم وخلاعتهم ورقاعتهم في بيوتهم وأسرتهم ومع الناس أجمعين

وهكذا ترى سوء السلوك يفسد القلب وينضب مادة الشعور الطيب الخالص فيصبح صاحبه مكروها فلا يعيش عيش الانسان بل عيش الحيوان فسوء السلوك هو الداء العامل يبعد به عن النجاح والراحة والسعادة . ويارب ماذا تكون حال العامل اذا ضعفت قواه وأسلمه سلوكه الى الشقاء مدى العمر مؤدياً به كل يوم الى أحقر المساكن . فاما ان يرميه مريضاً على حصير المستشفى أو على حضيض ملجأ الفقراء أو يموت تحت مبضع تلامذة الطب في المستشفيات .

ولا تسل عما يجلب هذا الحال من فساد نظام البيوت فان الزوج أيضاً تحذوحذو زوجها وتنصرف الى الرذيلة فترضع أبناءها سما زعافاً من فسادها فما هو إلا أن يضيع عليهم مستقبلهم ويتعذر عليهم التحلي بالاخلاق الصالحة ولا يزال الفساد يدب من جيل الى آخر ينقله الأب لابنه والأم لابنتها

حتى تنحل بيوت أولئك الصناع وكانت من قبل يتأتى لها ان تؤسس على التقوى وتعيش في هناء ويمسي أفرادهم وهم حلفاء شقاء وامتهان.

وبعد فاني أتقدم الى من استرسلوا في هوى النفس إن يصلحوها ولا يقولوا الصيف ضيعت اللبن ولكن جئت في الزمن الاخير فان إصلاح النفس يتأتى في الكبر كما يتأتى في الصغر . ومن لا يضبط نفسه زمان الفتوة وهو عهد العقل وسن الاماني الطاهرة والاخلاص الشريف هيهات ان يجيء منه ما ينفع أمته وينتفع هو به. فاصلاح النفس لازم في الكبر أكثر فاذا استقام أمر المرء شهوراً بل أياماً قبل موته لا بد ان ينال اعتبار الجمهور بل الانابة مطلوبة فيمن أبيض شعره حتى لا يجمع الى الشيخوخة اهانة الناس وما على من ابتلوا منذ شبيبتهم بهذه المساوئ الا أن يحاولوا الاقلاع عنها وتصح عزائمهم على ذلك فللارادة شأن في سلوك الانسان ومن لا إرادة له لا يعد في البشر .

مطبوعات ومخطوطات

العربية ولهجاتها

وهي رسالة كتبها بالافرنسية حضرة العالم المدقق الكنت دي لا ندنبرغ الاسوجي وقدمها الى علماء المشرقيات في المؤتمر الدولي الرابع عشر المجتمع مؤخراً في الجزائر. والمؤلف من شيوخ العلم في اللغات الشرقية وخصوصاً العربية وله أصحاب كثيرون في بلاد العرب عرفوه في خلال رحلاته العديدة الى بلادهم ولا سيما في مصر وسورية وجنوبي الجزيرة وله تآليف كثيرة أفادت التمدن وانتفع بها طلاب العلم . افتتح كتابه هذا بالثناء